تحقيق التوحيد المكفر للذنوب

(حقيقته ، وضابطه ، ومراتبه)

د. هشام بن إسماعيل بن علي الضيني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده و نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ الأحزاب .

أما بعد .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي ، هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن بيان حقيقة التوحيد ، الذي ورد في فضله نصوص كثيرة من أهم المسائل التي ينبغي الاعتناء بها ، خاصة أن من الناس من فهم هذه النصوص على غير وجهها ، فأصابه الغرور ، والركون إلى الدنيا ، وقلة العمل الصالح ، وفريق آخر استكثر على التوحيد فضله ، فرام وضع القيود الثقال في شرحه لنصوص فضل التوحيد .

وممن اعتنى بهذا الشأن ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في كتابه الموسوم بـ(التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) ، فقد عقد الباب الأول والثاني في هذا الشأن ، وذكر أدلة مختصرة تبيّن مقصده من عقد هاذين البابين ، وقد سلك في سرد الأدلة في البابين طريقة دقيقة ومرتبة ، وأبان عن مقصده بذكر هذه الأدلة في المسائل والفوائد التي يذكرها على أبواب الكتاب .

ويسلك الشيخ – أحياناً - طريقة دقيقة وخفية في استدلاله بالنص ، يريد بها تنبيه ذهن القارئ وإعمال فكره ، حتى يكون أدعى إلى فهم المسألة فهما صحيحاً ودقيقاً .

ومن أجل ذلك ، أردت أن أبيّن مراد الشيخ من عقد هذين البابين ، وتجلية مقصده ، والاستدلال على ذلك ، فإن أصبت ، فمن الله وحده لا شريك له ، وإن أخطأت ، فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله من الزلل والخطأ .

وقد قسمت البحث إلى : مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة :

المبحث الأول : في بيان مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بفضل التوحيد المكفر للذنوب ، وبيان مراده بتحقيق التوحيد .

المبحث الثاني : في ضابط تحقيق التوحيد .

المبحث الثالث : بيان أن تحقيق التوحيد عمل عظيم وشاق .

الخاتمة :

ذكرت فيها النتائج التي خرجت بها من البحث .

منهج البحث :

١ - اقتصرت في البحث على بيان مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالبابين الأولين ، وتحليل النصوص التي أوردها ، ومناقشة رأي بعض الشراح على مسائل البابين المذكورين .

٢ - خرجت الأحاديث الواردة في البحث ، وسلكت في تخريجي للأحاديث المنهج التالي:

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين ، فأكتفي بالعزو إليهما ، وأعتمدت على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لشهرته .

ب- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين ، فأكتفي بعزوه إلى مسند أحمد والسنن الأربعة إذا وُجد فيها ، فإذا لم أجده فيها ، عزوت الحديث إلى مصادر الحديث الأخرى والتي لها شهرة غالبة بين الباحثين ، كما أذكر حكم العلماء على الحديث إن وجدته .

ت- وثقت النقول ، وعزوت الأقوال إلى قائليها .

ث- علقت على بعض المسائل في الحاشية بما يغلب على ظني أنه يفيد القارئ ، وإن لم يكن من صلب الموضوع الذي أناقشه .

٣ - الخاتمة ، وذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث .

هذا .. وأسأل الله الحي القيوم ، الكريم المنان ، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى وأن يغفر لي الزلل والخطأ ، إنه غفور رحيم .

ولعل بعض من يُطالع هذا البحث ، يستغرب النتيجة التي خرج بها الباحث، وإني لأدعو كل من قرأ البحث أن يتريث ، ولا يعجل ، وينظر في الأدلة المذكورة بتأمل وتدبر ، فإن التأمل والتدبر ، والتأني ، من خير الطرق وأنجعها في الوصول إلى تحرير المسائل .

كما أدعو القارئ الكريم ، أن ينظر في هذا البحث بعين الإنصاف ، وأن يلتمس العذر لما يراه فيه من الخطأ والتقصير ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء ، في كثير صوابه .

والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

في بيان مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بفضل التوحيد المكفر للذنوب ، وبيان مراده بتحقيق التوحيد .

المبحث الأول : في بيان مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بفضل التوحيد المكفر للذنوب ، وبيان مراده بتحقيق التوحيد .

أول باب ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد هو (باب فضل الوحيد وما يكفر من الذنوب) ، ثم أردفه بباب (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) وهما بابان مرتبطان ببعضهما البعض ، وللشيخ محمد رحمه الله مقاصد من هذين البابين ، من المهم توضيحها للقارئ

أما الباب الأول ، فذكر فيه الشيخ من الأدلة التي تبين أن من أتى بالتوحيد التام الخالص من الشرك ، فإن الله يكفر عنه ذنوبه كلها ، ويدخله الجنة .

واستشهد بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام

والآية تدل على أن من أتى بتوحيد خالص من الشرك ، فهو آمن من العذاب ، وهذا يقتضي تكفير التوحيد للذنوب ، كبائرها وصغائرها .

وجه الدلالة :

قوله تعالى (بظلم) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك (١) .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام] شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال

وكلمة (ظلم) نكرة جاءت في سياق النفي (لم يلبسوا) والنكرة في سياق النفي تقتضي العموم (٢) ، أي عموم الشرك الأكبر والأصغر .

فدلت الآية على أن حصول الأمن من العذاب وتكفير الذنوب ، منوط بالخلوص التام من الشرك الأكبر والأصغر .

ثم أورد الشيخ رحمه الله حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) (٣) .

ويظهر - والله أعلم - أن مراده من إيراد هذا الحديث ، أن يبين أن فضل التوحيد منوط بسلامة التوحيد من نواقض الدين ، وضرب مثلا بحديث عبادة بن الصامت ، الذي فيه اشتراط مسائل أخرى غير الإتيان بالتوحيد ، منها : أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ، وأنه كلمة الله ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق .

فمن اعتقد أن عيسى ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، كما يزعم النصارى ، فتوحيده منقوض غير مقبول ، وكذلك من أتى بالشهادتين ، ولكنه منكر للبعث بعد الموت - كما هو اعتقاد

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ [لقمان] أخرجه البخاري (٦٩٣٧) ومسلم (٣١٨١) .

(٢) انظر المحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٦٣) والكوكب الدري للأسنوي (ص٢٨٨) والمدخل لابن بدران (ص٢٣٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) وقال عَقِبَه : قال الوليد : حدثني ابن جابر ، عن عمير ، عن جنادة ، وزاد : (من أبواب الجنة الثمانية ، أيها شاء) ، وأخرجه مسلم برقم (٢٨) .

مشركين العرب قديما – فتوحيده منقوض أيضاً ، وقد ذكر الشيخ رحمه الله في بعض رسائله أن عددا كثيرا ممن في زمانه ينكر البعث ، قال رحمه الله : (ومعلوم: أن أهل أرضنا، وأرض الحجاز، الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به) (٤).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم (والجنة حق ، والنار حق) إشارة إلى الإيمان بالبعث ، لأن من آمن بالجنة والنار ، لزم أن يكون مؤمناً بالبعث وما بعده .

فكأن الشيخ – رحمه الله – أراد أن يبين أن من أتى بالشهادتين ، ونقضهما بما يُخرج العبد من الإسلام ، لم يكن من المستحقين لفضل التوحيد وتكفيره للذنوب .

ثم أورد الشيخ رحمه الله حديث عتبان (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) (٥)

---

(٤) الدرر السنية (١٠/ ٤٣) .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥) ولفظه عن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن شهد بدراً ، من الأنصار ، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! قد أنكرت بصري ، وأنا أصلي لقومي ، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني ، فتصلي في بيتي ، فأتخذه مصلى . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : سأفعل إن شاء الله . قال عتبان : فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت ، ثم قال : أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ قال : فأشرت له إلى ناحية من البيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ، فقمنا فصففنا ، فصلى ركعتين ، ثم سلم ، قال : وحبسناه على خزيرة صنعناها له ، قال : فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد ، فاجتمعوا ، فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخيشن – أو ابن الدخشن – فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله

وهذا الحديث فيه اشتراط الصدق والإخلاص في قول كلمة التوحيد ، ولا يكون قائلها قالها نفاقاً ، يريد حقن دمه ؛ لأن حديث عتبان جاء في سياق اتهام بعض الصحابة لابن الدخشن بالنفاق ، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن من قال (لا إله إلا الله) لن تنفعه هذه الكلمة إلا إذا قالها مخلصا لا نفاقا .

وهذا ناقض آخر لكلمة التوحيد نبه عليه الشيخ رحمه الله .

ثم أورد الشيخ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: (قال موسى عليه السلام: يا رب! علمني شيئا أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله . قال : يا رب! كل عبادك يقولون هذا ؟ قال: يا موسى ! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة ، و لا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله) (٦) وفي هذا الحديث دلالتان على فضل التوحيد

الأولى : أن كلمة التوحيد أثقل في الميزان من السموات والأرض وعامرهن إلا الله سبحانه وتعالى .

والثانية : أن التوحيد مكفر للذنوب كلها ، وموجب لدخول الجنة ابتداء ، ولكن هذا التوحيد مشروط بشروط ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى .

ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله . قال : الله ورسوله أعلم . قال : فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) . وأخرجه مسلم برقم (٣٣) .

(٦) أخرجه ابن حبان (٦٢١٨) والحاكم في المستدرك (١٩٣٦) .

ووجه الدلالة : قوله في الحديث (كل عبادك يقولون هذا) ومعلوم أن من الناس من يقول (لا إله إلا الله) وهو منافق فيكون من أهل النار ، ومن المسلمين من يقولها ويكون ممن يُعذب – والعياذ بالله – في الآخرة لغلبة سيئاته على حسناته .

فدل هذا على أن التوحيد المكفر للذنوب مشروط بشروط لابد من توفرها .

ثم أورد الشيخ حديث أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: « قال الله تعالى: يا ابن آدم ! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة) (٧).

وهذا الحديث هو من أصرح الأحاديث في بيان شروط تحقق فضل التوحيد وتكفيره للذنوب ، والحديث بين أن هذا الفضل منوط بشرطين

الأول : الخلوص من الشرك الأكبر والأصغر ، وذلك في قوله (لا تشرك بي شيئاً) و كلمة (شيئاً) نكرة جاءت في سياق النفي ، فدلت على العموم .

والشرط الثاني : أن يموت الإنسان على هذا التوحيد الخالص ، بدليل قوله (ثم لقيتني) .

فمن قال كلمة التوحيد وسلم من نواقضه ، كالنفاق ، أو اعتقاد أن عيسى ابن الله ونحو ذلك من الاعتقادات المناقضة لكلمة التوحيد ، فإنه موعود بتكفير الذنوب كلها ودخول الجنة ابتداءً بشرطين ، أن يخلص توحيده من الشرك مطلقا ، وأن يموت على هذا التوحيد .

---

(٧) أخرجه الترمذي ، برقم (٣٥٤٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨) .

والشيخ رحمه الله أراد أن يبين = لمن احتج بالأحاديث الواردة في فضل التوحيد على أن من قال كلمة التوحيد فإنه من أهل الجنة ، ولم يلتفت إلى شروطها الأخرى = أن هذا الاحتجاج باطل ، بل لابد من الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة وتنزيلها منزلة النص الواحد حتى تفهم المسألة على وجهها الصحيح .

وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله : المسألة الساسة : أنك إذا جمعت بينه – أي حديث عبادة – وبين حديث عتبان ، وما بعده ، تبين لك معنى قول لا إله إلا الله ، وتبين لك خطأ المغرورين . (٨)

ثم عقد الشيخ رحمه الله الباب الثاني بقوله (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) وهذا الباب يعتبر مكملا للباب السابق ، وأفرده الشيخ بباب مستقل لينبه القارئ لمعنى مهم في المسألة .

فالباب السابق بين الشيخ فيه أن من فضل التوحيد تكفيره للذنوب كلها بالشرطين المذكورين ، ومن أتى بذلك فقد حقق التوحيد ، ومن حقق التوحيد ، غُفرت له ذنوبه ودخل الجنة ابتداءً ، فكأن عنوان الباب الثاني هو نتيجة المستخلصة من النصوص المذكورة في الباب الأول .

لكنه – رحمه الله – عنون للباب الثاني بهذا العنوان ، مورداً تحته ثلاثة نماذج ممن يدخل الجنة بغير حساب ، وهم : إبراهيم عليه السلام ، والسابقون من أهل الجنة ، والسبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب = ليبين للقارئ أن المحققين للتوحيد ليسوا على

---

(٨) انظر كتاب التوحيد المطبوع ضمن (مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب) (١/ ١٣) .

مرتبة واحدة ، بل مراتب متفاوته ، وبدأ بذكر إمام الموحدين ، إبراهيم عليه السلام ، الذي يتبوأ أعلى مراتب المحققين للتوحيد .

وفي ذكر إبراهيم عليه السلام تنبيه إلى علو مرتبة الأنبياء في تحقيق التوحيد ، وأنهم أعلى من غيرهم من محققي التوحيد ، ولا يمكن لأحد أن يقول – مثلا – : إن عكّاشة بن محصن الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، هو في مرتبة إبراهيم عليه السلام .

كما أن المؤمنين الوارثين للجنة ليسوا جميعهم في مرتبة واحدة ، بل هم في مراتب متفاوتة فلا يغتر مغتر بأن من حقق التوحيد بالخلوص من الشرك مطلقا ، أنه سيكون كالخليل عليه السلام ، أو أنه سيكون في الفردوس الأعلى .

وهذا يتبين بجلاء بالوقوف مع تحليل النصوص الثلاثة التي ذكرها المصنف .

أما النص الأول : فأورد قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل] ووجه الدلالة في الآية ، أن الله – سبحانه وتعالى – أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه (لم يك من المشركين) ونفي الشرك عنه بهذه الصيغة ، يقتضي براءته من الشرك مطلقا . (٩) .

---

(٩) ذكر الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي كلاماً مهماً عن براءة إبراهيم عليه السلام من الشرك مطلقاً في الكون الماضي ، المستغرق كل الزمن ، ردَّ به على قول ابن جرير أن إبراهيم عليه السلام كان يظن ربوبية الكوكب عندما ناظر قومه . وقد استدل الشيخ الشنقيطي رحمه الله بالآية المذكورة أعلاه ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل] انظر العذب النمير (٤/ ١٤١٨) .

وأما قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام (كان أمة) ففيه دلالة على علو مرتبته عليه السلام في مراتب الموحدين ، لأنه يعدل أمة من الموحدين .

وأما النص الثاني : فأورد الشيخ – رحمه الله – قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المؤمنون] وهي آية جاءت في سياق آيات عديدة في وصف السابقين (١٠) من أهل الجنة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون]

ومعلوم أن أهل الجنة من المؤمنين ليسوا على مرتبة واحدة في الجنة ، بل بعضهم في الفردوس وبعضهم دون ذلك .

فالمحققون للتوحيد من أهل الجنة ، يتفاوتون في مراتبهم بحسب أعمالهم ، ومنها اختلافهم في تحقيق التوحيد ، فبعضهم أعظم في تحقيق التوحيد من غيره .

ولبيان الدليل على صحة تفاوت المحققين للتوحيد أورد الشيخ النص الثالث ، وهو حديث عمران بن حصين ، قال : كنت عند سعيد بن جبير ، فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة ؟ فقلت : أنا . ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لُدِغْتُ . قال : فما صنعتَ ؟ قلت : ارتقيتُ . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلتُ : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بُريدة بن الحصيب ، أنه قال : لا رقية إلا من عين أو

---

(١٠) وهذا ترجيح الحافظ ابن كثير لمعنى الآية ، وأن الآية في صفة السابقين ، لا في صفة المقتصدين أو المقصرين . انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤٩) .

حمة . قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عُرضت عليَّ الأُمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم أمتي . فقيل لي : هذا موسى وقومه . فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناسُ في أُولئك فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين وُلِدُوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون . فقام عُكّاشة بن مِحْصن ، فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت منهم . ثم قام رجل آخر : فقال ادعُ الله أن يجعلني منهم . فقال : سبقك بها عُكّاشة) (١١) .

ففي الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

ومراد الشيخ رحمه الله أن يبين للقارئ أن من مراتب تحقيق التوحيد ، ترك الاسترقاء والاكتواء ، وهي مرتبة أعلى من مجرد الخلوص من الشرك الأكبر والأصغر .

---

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب الحلق من الأذى ، برقم (٥٧٥٢) ومسلم برقم (٢١٨) .

لأن طلب الرقية من الغير ليس محرماً ، بل ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أسترقي من العين (١٢) .

والاكتواء ليس محرما ، بل مجموع النصوص تدل على جوازه مع الكراهة (١٣) .

فالحديث بَيَّن أن من المراتب العليا في تحقيق التوحيد ، ترك الاسترقاء ، وترك الاكتواء وأن هذين الأمرين لا يقعان إلا من بعض الموحدين .

وهذه الملحظ ذكره الشيخ بقوله : المسألة الخامسة :كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد (١٤) .

وليس مراد الشيخ رحمه الله أن تحقيق التوحيد لا يتم إلا بترك الرقية والكي ، لأنه ذكر في المسألة الأولى قوله : معرفة مراتب الناس في التوحيد (١٥) .

وهي متعلقة بالآية الأولى التي أوردها في حق إبراهيم عليه السلام ، وأنه في المرتبة العليا في تحقيقه للتوحيد .

كما أن الشيخ في المسألة الرابعة بين معنى تحقيق التوحيد بقوله : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك . (١٦)

---

(١٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٥) .

(١٣) انظر تفصيل المسألة في زاد المعاد (٤/ ٦٣-٦٦) .

(١٤) انظر كتاب التوحيد المطبوع ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٦) .

(١٥) المصدر السابق (١/ ١٦)

(١٦) المصدر السابق (١/ ١٦)

فتحقيق التوحيد هو بالسلامة من الشرك ، وترك الرقية والكي من مراتب تحقيق التوحيد العليا .

ولا يمكن أن نجعل ترك الرقية والكي في أصل تحقيق التوحيد ، وأن من استرقى أو اكتوى لم يحقق التوحيد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عائشة وزوجة جعفر (١٧) وغيرهما بالاسترقاء ، وما كان ليأمرهم بما يخلّ بأصل تحقيق التوحيد .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة بنفسه (١٨) ، وعن جابر قال : رُمي سعد بن معاذ في أكحله ، قال : فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص ، ثم ورمت فحسمه الثانية (١٩) .

وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليُوقع أسعد بن زرارة ، أو سعد بن معاذ في أمر يخلّ بأصل تحقيق التوحيد ، فعُلم من ذلك أن ترك الاسترقاء والاكتواء من المراتب العليا في تحقيق التوحيد .

---

(١٧) حديث عائشة مر ذكره قبل في الصفحة السابقة ، وأما حديث أسماء بنت عميس زوجة جعفر رضي الله عنهما ، فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٧٤٧٠) عن أسماء قالت : يا رسول الله ! إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقي لهم ؟ قال : (نعم ، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) .
وأخرجه بنحوه الترمذي برقم (٢٠٥٩) وابن ماجة (٣٥١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨٦) .

(١٨) أخرج الترمذي برقم (٢٠٥٠) عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة من الشوكة . وصححه الألباني .

(١٩) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٨) ، والحسم : هو الكي . قاله ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٦٣) .

ومما يدلك على أن المراتب العليا لا يُكلف كل أحد بها ، ما رواه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً ، وأتكفل له بالجنة ؟ فقال ثوبان : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً) (٢٠) .

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : (ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : ألا تبايعون رسول الله ؟ قال : فبسطنا أيدينا ، وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا . وأسرَّ كلمة خفية ، ولا تسألوا الناس شيئاً) . فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه (٢١) .

والاستغناء عن الخلق بترك سؤالهم مطلقاً – كترك الاسترقاء – لا يستطيعه كل أحد ، ولذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم العهد على عدد يسير من أصحابة أن لا يسألوا الناس شيئاً ولهم الجنة ، ولا شك أن من حقيقة التوحيد ، الاستغناء عن الخلق بتعلق القلب بالله فقط . وهذا من كمال التوكل على الله ، الدال على عظيم التوحيد عند صاحبه .

---

(٢٠) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٣) وصححه الألباني .

(٢١) أخرجه مسلم (١٠٤٣) .

قال يعقوب بن إسحاق بن بُخْتَان (٢٢) : سمعت أحمد ، وسئل عن التوكل ؟ فقال : هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق . فقيل له : ما الحجة ؟ فقال : إبراهيم لما وضع في المنجنيق ، ثم طرح إلى النار ، فاعترضه جبريل ، فقال : يا إبراهيم ! ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا . قال : فقال له : سل من لك إليه حاجة ! فقال : أحب الأمرين إليه أحبهما إليّ(٢٣).

---

(٢٢) يعقوب بن إسحاق بن بُخْتَان أبو يوسف ، سمع من الإمام أحمد ، وروى عنه ابن أبي الدنيا ، وجعفر الصندلي ، وغيره ، وكان أحد الصالحين الثقات . له ترجمة في طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٤) وفي المقصد الأرشد (٣/ ١٢١) .

(٢٣) ذكر القصة بإسناده أبو يعلى في الطبقات (٢/ ٥٥٦) في ترجمة يعقوب بن إسحاق ، وذكرها ابن مفلح في المقصد الأرشد (٣/ ١٢٢) في ترجمة جعفر الصندلي .

وقد ذُكرت قصة إبراهيم في بعض الكتب بغير هذه الرواية ، ففي آخر القصة أن جبريل قال لإبراهيم عليه السلام : سل من لك إليه حاجة ! فقال : أحب الأمرين إليه ، أحبهما إليّ . هكذا هي الرواية ، ولكن ذُكرت في بعض الكتب بلفظ : (قال : فسل ربك ! قال : حسبي من سؤالي ، علمه بحالي). هكذا ذكرها الزمخشري في الكشاف (٣/ ١٢٦) وأبو السعود في تفسيره (٦/ ٧٦) والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٥٠) والبيضاوي في تفسيره (٤/ ١٠٠) والقرطبي في تفسيره (١١/ ٣٠٣) وغيرهم ، ويظهر أن أغلب المفسرين ينقل بعضهم من بعض ، والرواية المسندة سواءً ما ذُكر في طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦) أو في تفسير ابن جرير (١٧/ ٤٥) وفي تاريخه (١/ ١٤٨) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩) ليس فيها هذه اللفظة ، ولذلك نقد ابن تيمية - رحمه الله - هذه اللفظة ، فقال : ومن هؤلاء من يجعل دعاء الله ومسألته نقصاً ، وهو مع ذلك يسأل الناس ، ويكديهم ، وسؤال العبد لربه حاجته من أفضل العبادات ، وهو طريق أنبياء الله ، وقد أمر العباد بسؤاله ، فقال (واسألوا الله من فضله) ، ومدح الذين يدعون ربهم رغبة ورهبة ، ومن الدعاء ما هو فرض على كل مسلم ، كالدعاء المذكور في فاتحة

تنبيه : قال الشيخ رحمه الله في المسألة الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد(٢٤).

ولم يذكر التطير مع وروده في الحديث ، وذلك لأن التطير من صور الشرك ، وهو متعلق بأصل تحقيق التوحيد ، والشيخ يريد أن يبين أن لتحقيق التوحيد مراتباً أعلى من ترك الشرك مطلقا وهي مرتبة من ترك الاسترقاء والاكتواء لكمال توكله على الله .

خلاصة مراد الشيخ من البابين السابقين :

أراد الشيخ – رحمه الله – أن يبيّن أن للتوحيد فضلاً عظيماً ، هذا الفضل هو تكفير الذنوب كلها ، ودخول الجنة بغير حساب ، بشرطين ، أحدهما : أن يَخلص الموحد من الشرك مطلقاً ، والثاني : أن يموت على ذلك .

الكتاب ، ومن هؤلاء من يحتج بما يُروى عن الخليل ، أنه لما ألقي في النار قال له جبرائيل : هل لك من حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا . قال : سل . قال : حسبي من سؤالي ، علمه بحالي . وأول هذا الحديث معروف ، وهو قوله : أما إليك فلا . وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران] أنه قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .

وأما قوله : (حسبي من سؤالي علمه بحالي) فكلام باطل ، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم لله ، ومسألتهم إياه ، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة ، كقولهم : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة] ودعاء الله وسؤاله والتوكل عليه عبادة لله ، مشروعة بأسباب كما يقدره بها ، فكيف يكون مجرد العلم مسقطا لما خلقه وأمر به. انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٥٣٩) .

(٢٤) كتاب التوحيد ، المطبوع ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٦) .

وأراد أن يبين أيضاً أن لتحقيق التوحيد مراتباً ، بعضها أعلى من بعض ، فلا يظن المسلم أن من خلص من الشرك مطلقاً ، هو في توحيده كتوحيد إبراهيم عليه السلام ، إمام الموحدين .

المبحث الثاني

في ضابط تحقيق التوحيد .

المبحث الثاني : في ضابط تحقيق التوحيد .

التوحيد ضد الشرك ، فمن أتى بتوحيد خالص من الشرك مطلقاً (الشرك الأكبر والأصغر) فهو محقق للتوحيد .

فضابط تحقيق التوحيد : هو الخلوص من الشرك مطلقاً (الأكبر والأصغر) .

وهذا المعنى هو الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله في المسألة الثانية : ما معنى تحقيقه .

ثم أتبعه بقوله : الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

ثم قال في المسألة الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك . (٢٥)

وهو أيضا اختيار الشيخ محمد العثيمين رحمه الله ، قال في تعليقه على قول المصنف (الثانية : ما معنى تحقيقه) : أي : تحقيق التوحيد ، وسبق لنا في أول الباب أن تحقيقه تخليصه من الشرك . (٢٦)

وذهب بعض شراح كتاب التوحيد إلى أن تحقيق التوحيد : تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي (٢٧) .

---

(٢٥) كتاب التوحيد ، المطبوع ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٦) .

(٢٦) القول المفيد (١/ ١٠٦) وذكره في أول الباب (١/ ٩١) .

(٢٧) انظر فتح المجيد (ص٨٧) وحاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم النجدي (ص٣٧) ، وبنحوه في القول السديد في مقاصد التوحيد ، لابن سعدي (ص٢٨) .

والمتأمل لهذا القول يجد أن أصحابه اشترطوا لتحقيق التوحيد خلوصه من ثلاثة أمور : الشرك ، البدع ، المعاصي .

أما الأمر الأول ، وهو تخليصه من الشرك ، فلا اعتراض عليه ، وهو جلي واضح .

وأما الأمر الثاني ، وهو تخليصه من البدع ، فإن البدع تنقسم إلى قسمين ، بدع مكفرة ، وبدع غير مكفرة . فالبدع المكفرة تُلحق بالشرك الأكبر لأنها تنقض التوحيد من أصله ، والبدع غير المكفرة تُلحق بكبائر الذنوب .

وبناء عليه يمكن أن نقول : إن كلامهم في تحقيق التوحيد يؤول إلى تخليصه من الشرك ، (ويلحق به البدع المكفرة) ، والمعاصي كبيرها (ويلحق بها البدع غير المكفرة) وصغيرها .

فإذا اشترطنا في تحقيق التوحيد الخلوص من المعاصي كلها (كبيرها وصغيرها) ، فماذا بقي عند الإنسان يحتاج إلى تكفيره بتحقيق التوحيد .

وإذا قيل : يُشترط الخلوص من كبائر الذنوب ، فالجواب : إن اجتناب الكبائر سبب لتكفير الصغائر ، فنعود عندئذ إلى السؤال السابق ، ماذا بقي على المسلم يحتاج إلى تكفيره بتحقيقه للتوحيد .

فالذي يظهر – والله أعلم – أن اشتراط اجتناب المعاصي غير وارد في تحقيق التوحيد ، وأما البدع ، فالمكفر منها يُلحق بالشرك ، وغير المكفر منها يُلحق بالكبائر . فنخلص مرة أخرى إلى أن تحقيق التوحيد : تخليصه من الشرك مطلقاً ، الأكبر والأصغر .

كما أن حديث أنس السابق ذكره يؤيد ما ذكرته هنا ، ففيه قوله عزوجل (لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، للقيتك بقرابها مغفرة) (٢٨) فتأمل هذا العبد الذي يلقى الله بقراب الأرض خطايا ، وقد أطلق لفظة (خطايا) ولم يقيدها بصغائر و لا كبائر .

يقول ابن قيم الجوزية –رحمه الله – : (وتأمل قوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء] كيف تجد تحته – بألطف دلالة ، وأدقها ، وأحسنها – أنه من اجتنب الشرك جميعه ، كُفرت عنه كبائره وأن نسبة الكبائر إلى الشرك ، كنسبة الصغائر إلى الكبائر ، فإذا وقعت الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر ، تقع [الكبائر] مكفرة باجتناب الشرك ، وتجد الحديث الصحيح كأنه مشتق من هذا المعنى ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: (ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لقيتك بقرابها مغفرة)(٢٩) ، وقوله: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)(٣٠)، بل محو التوحيد – الذي هو توحيد – للكبائر أعظم ، من محو اجتناب الكبائر للصغائر)(٣١) .

---

(٢٨) تقدم تخريجه ص١١

(٢٩) تقدم تخريجه ص١١

(٣٠) تقدم تخريجه ص٩

(٣١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٣٩٩) .

ويؤيده – كذلك – حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتاني آت من ربي ، فأخبرني – أو قال : بشرني – أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة . قلت : وإن زنى ، وإن سرق ؟ قال : وإن زنى ، وإن سرق) (٣٢) .

ويؤيده – أيضا – حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ، على حمار يقال له : عُفير ، فقال « يا معاذ ! هل تدرى حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا

---

(٣٢) أخرجه البخاري برقم (١٢٣٧) . وأخرجه أيضا برقم (٦٤٤٣) عن أبي ذر رضي الله عنه قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده ، وليس معه إنسان ، قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد . قال : فجعلت أمشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر ، جعلني الله فداءك . قال : يا أبا ذر ! تعال . قال : فمشيت معه ساعة . فقال : إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من أعطاه الله خيرا ، فنفح فيه يمينه وشماله ، وبين يديه ووراءه ، وعمل فيه خيرا . قال : فمشيت معه ساعة . فقال لي : اجلس ها هنا . قال : فأجلسني في قاع حوله حجارة . فقال لي : اجلس ها هنا حتى أرجع إليك . قال : فانطلق في الحرة ، حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ، ثم إني سمعته – وهو مقبل – وهو يقول : وإن سرق وإن زنى . قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت : يا نبي الله ! جعلني الله فداءك ، من تكلم في جانب الحرة ؟ ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً . قال : ذلك جبريل عليه السلام ، عرض لي في جانب الحرة ، قال : بشر أمتك ، أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : يا جبريل ! وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قال : قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم ، وإن شرب الخمر .

يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً . فقلت : يا رسول الله ! أفلا أبشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم ، فيتكلوا . (٣٣)

فقوله في الحديث (أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) صريح الدلالة في مغفرة الذنوب بتحقيق التوحيد .

والأدلة في هذا المعنى كثيرة ، وفيما ذكر كفاية إن شاء الله تعالى .

نعم ، كلامهم هؤلاء الفضلاء من أهل العلم يمكن تنزيله على تحقيق التوحيد في مراتبه العليا ، فيكون من خلَّص توحيده من الشرك مطلقا ، ومن البدع والكبائر ، ومن الاسترقاء والاكتواء ، واستغنى عن الخلق ، فلم يسألهم شيئاً ، وتوكل على الله حق توكله ، فهذا حقق التوحيد في دراجاته العليا ، ويكون ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب .

---

(٣٣) أخرجه البخاري برقم(٢٨٥٦) .

المبحث الثالث

بيان أن تحقيق التوحيد عمل عظيم وشاق .

المبحث الثالث : بيان أن تحقيق التوحيد عمل عظيم وشاق .

القارئ لموقف شراح الأحاديث الواردة في فضل التوحيد يجدهم يذكرون تأويلات وشروطا لتحقق فضل التوحيد .

وكأنهم تعجبوا أن يكون للتوحيد هذا الفضل العظيم في تكفير الذنوب كلها ، وأول من تعجب من ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ففي حديث أبي ذر السابق ذكره قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : (ذلك جبريل عليه السلام ، عرض لي في جانب الحرة ، قال : بشر أمتك ، أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً ، دخل الجنة . قلت : يا جبريل ! وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قال : قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم ، وإن شرب الخمر) (٣٤) .

ولا يصح أن نقول في معنى الحديث : إن السارق والزاني يعذب أولاً في النار ، ثم يدخل الجنة ، لأن المعنى لو كان كذلك ، لما تعجب منه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكرر سؤاله لجبريل .

كما أن حديث معاذ بن جبل السابق ذكره يؤيد ذلك ، ففيه قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : وحق العباد على الله ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

ولكن الأحاديث دلالتها واضحة في اشتراط الشرطين المذكورين سابقاً ، وهما : الخلوص التام من الشرك ، وأن يموت على هذا التوحيد الخالص .

---

(٣٤) تقدم تخريجه ص٢٦

ونحن إذا تأملنا حقيقة الشرطين وجدناهما من الصعوبة بمكان ، فإن التخلص من الشرك مطلقا أمر في غاية الصعوبة ، لأن للشرك الأصغر صوراً متعددة ، ومن أعظم صوره : الرياء . والرياء من أصعب الأمور التي يتقيها الموحد ، لكثرة تقلب القلب على الإنسان ، فهو يبدأ العمل لله خالصاً ، فيأتيه الشيطان في وسط العمل فيوسوس له بها يفسد عليه عمله فيحتاج المسلم إلى مجاهدة دائمة ، ومراقبة دقيقة لمقصده من الأعمال الصالحة ، ليخلص من الرياء ، وقد يقع في رياء ، ثم ينسى الاستغفار والتوبة منه ، وقد يقع منه الرياء بصورة خفية ، وخطر الشرك الأصغر – الرياء – دل عليه حديث أبي موسى الأشعري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال :(أيها الناس ! اتقوا هذا الشرك . فإنه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه ، وهو أخفى من دبيب النمل ، يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم) (٣٥).

وثبت قوله صلى الله عليه وسلم (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . فسُئل عنه ، فقال : الرياء) (٣٦) .

فأنت إذا تأملت هذا الأمر ، وعلمت أنك بحاجة للمجاهد الدائمة لمدافعة الرياء ، حتى إذا أتاك الموت تكون على التوحيد الخالص ، تبين لك أن تحقيق التوحيد ، والموت عليه

---

(٣٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩٦٠٦) ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢١) : حسن لغيره .

(٣٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٣٦٣٠) وقال ابن حجر في بلوغ المرام (ص٧٩٣) :" أخرجه أحمد بإسناد حسن ". وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥) .

عمل عظيم ، وشاق ، ومستمر مع الإنسان طوال حياته ، وعمل كهذا ، هو عمل عظيم لا يُستكثر عليه تكفير الذنوب ودخول الجنة بغير حساب .

بل ثبت في السنة فضل بعض الأعمال المكفر للذنوب هي أدنى شأناً من التوحيد والمجاهد عليه .

فثبت أن الشهيد يغفر له مع أول دفعة من دمة (٣٧)، وثبت أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (٣٨).

و لاشك أن التوحيد أعظم من الجهاد والحج .

---

(٣٧) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٧١٨٢) من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال ، أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه ، خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه) .

وبنحوه أخرجه ابن ماجة في السنن (٢٧٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٢٢٥٧) .

(٣٨) أخرج مسلم (١٣٤٩) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

الخاتمة :

الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على نبيه محمد بن عبدالله ، وبعد ..

فأهم النتائج المستخلصة من هذا البحث ، هي :

١ - تقرير أن من مات ، وهو محقق للتوحيد بالخلوص من الشرك مطلقاً ، فإنه موعود بتكفير الذنوب كلها .

٢- بيان أن تحقيق التوحيد يكون بالخلوص من الشرك ، وأن اشتراط الخلوص من البدع والمعاصي فيه نظر .

٣- بيان أن تحقيق التوحيد مراتب ، أدناها الخلوص من الشرك مطلقاً ، وأعلى منها ، ترك الاكتواء والاسترقاء ، والاستغناء عن الخلق ، وأعلى منها يقين القلب بوعد الله ، والاستغناء عن الخلق مطلقاً ، كحال إبراهيم عليه السلام .

٤ - بيان أن تحقيق التوحيد بالخلوص من الشرك مطلقاً هو عمل عظيم وشاق ، مستلزم لمراقبة الإنسان لعمله طول حياته خوفاً من الوقوع في شيء من الشرك ، خاصة الرياء .

فهرس المراجع

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢) إعلام الموقعين، عن رب العالمين، الحافظ ابن قيم الجوزية، ت: مشهور حسن سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت

٤) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مع حاشية الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الامتياز للنشر، ط١

٥) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٦) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١

٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥

٨) الجامع الصحيح، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المطبوع ضمن فتح الباري، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٩) الجامع الصحيح . الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : دار الكتاب العربي

١٠) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر : دار الشعب - القاهرة

١١) حاشية كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم ، ط: الثالثة .

١٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة السادسة .

١٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، الطبعة :الأولى . دار الرسالة .

١٤) السنن ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني – ت: محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر .

١٥) السنن ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – ت : أحمد شاكر – دار الكتب العلمية

١٦) السنن ابن ماجه – محمد بن يزيد بن ماجة القزويني – ت : محمد فؤاد عبدالباقي – دار الفكر

١٧) شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى

١٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان بن أحمد البستي – ت: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – ط١

١٩) صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار المعارف ، ط١

٢٠) صحيح الجامع الصغير ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي .

٢١) صحيح سنن ابن ماجة ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، دار الكتاب العربي ، ط١

٢٢) طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي ، ت: د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، نشر الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام .

٢٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، جمع خالد السبت ، دار ابن القيم ، ط١

٢٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق الوليد الفريان ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية .

٢٥) القول السديد في مقاصد التوحيد ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ت : د.المرتضى الزين ، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية ، الطبعة الأولى ١٤١٦

٢٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، درا ابن الجوزي ط: الثالثة .

٢٧) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، المطبوع ضمن (مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب) ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١

٢٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٩) الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي، الناشر: دار عمار، الأردن – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد حسن عواد .

٣٠) المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، ترقيم: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية .

٣١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن ابن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية . الرياض .

٣٢) المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – ١٤٠٠، الطبعة: الأولى

٣٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠١، الطبعة: الثانية .

٣٤) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية

٣٥) المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط١

٣٦) معالم التزيل ، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

٣٧) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، إبراهيم بن محمد ابن مفلح، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى .